صور فلسفية :

الفيلسوف المتوحد كيركجورد

(١٨١٣ — ١٨٥٥)

الأستاذ زكريا إبراهيم

كيركجورد فيلسوف دنمركى متصوف ، نشأت فلسفته فى حضن الدين ، وتكونت بفضل تجربته الروحية الخاصة وعزلته النفسية العميقة . وهو واحد من أولئك الفلاسفة القليلين الذين استطاعوا أن يحيوا حياة العزلة والتفرد وأن يحتملوا ما يجىء مع هذه الحياة من قلق وجزع ولهفة . ولم يكن كيركجورد فيلسوفا يتخذ من الفلسفة صناعة له ، أو عالماً لاهوتياً كل همه أن يشتغل باللاهوت ، وإنما كان أولا وبالذات ، إنساناً مشتعل الوجدان ، مشبوب العاطفة ، تشيع فى نفسه سورة القلق ، وتضطرم فى باطنه جذوة الألم ؛ يجتذبه العالم من ناحية ، وتؤرقه الرغبة فى القداسة "désir de la sainteté" من ناحية أخرى . وهو إلى هذا وذاك ، إنسان غنى فى مواهبه ، ثرى فى إيمانه ، عميق فى نظراته الصوفية . هو رجل متوحد انطوى على نفسه ، وعاش حياة أقرب ماتكون إلى حياة الأنبياء ، فاستطاع أن يتوصل إلى فلسفة مخالفة لكل الفلسفات التى كانت موجودة فى عصره ؛ فلسفة تعتبر وجود الذات هو وحده الوجود الحقيقى ، وترى فى عزلة الذات ، الحقيقة الوحيدة الثابتة . أما النزعات الفلسفية التى كانت موجودة فى عصر كيركجورد فقد نظر إليها فيلسوفنا نظرة معادية ، واعتبر فيها « سقوطاً » Chute للذات ، ومن ثم فقد هاجم الفيلسوف الألمانى هيجل مهاجمة عنيفة وحارب فكرته عن الروح المطلقة ، وحاول أن يفتقد الإيمان الضائع بالتحول عن عالم الفلسفة إلى عالم الدين

وقد اتخذ كيركجورد كل ضروب التخفى والتستر ، حتى يستطيع أن يأمن عدوان خصومه ، فكان يطبع مؤلفاته موسومة

وولیت عمال السواد ، فولى قرارة يبتى مدة لن أطيلها !

.. وهكذا لايتشهى البحترى من جاه الولايات الذى يسبغه الوزير على خلصائه ؛ إلا أن يدعه يلوذ بقرارة بيته ، متجانفاً بنفسه عن مزالق السياسة وفتنها بعد أن طال فى ذلك خبه وإيضاعه . وإنه فى موضع آخر ليطلب إلى الوزير أن يعتق (رقبته) بصرفه إلى بلده .

وقد شمل امتنانك كل حى فهل مَنٌّ يُفك به أسيرُ ؟
وأعتقت الرقاب فمر بعتقى إلى بلدى ، ، وأنت به جدير !

وما كان اعتزال البحترى فى منبج إلا شراً أجاءه إليه ماهو شر منه . ذلك أنه كان ودع أرغد عيشه وأطيب أيام حياته بتوديع عهد المتوكل الذى شهد بعينيه مصرعه الرهيب . .

وكانت فترة (المعتز) فى حياة البحترى أشبه شىء بخفقة المصباح الأخيرة حين يصارع الظلمات ولما تخمد منه الأنفاس .

ولعل أشد الأشياء على نفسه ما كان يعالجه من جفاف الحياة فى منبج بعد أن نعم بالمقام الطيب سنين متطاولة فى بغداد وسر من رأى ؛ ثم جلوسه إلى حاكمها مجلس (الرعية) من الراعى ، بعد أن كان لايرى إلا جليس خليفة أو وزير أو أمير خطير ...

وكانت أيام المتوكل ونجيه الفتح — وأمثالهما ممن بسطوا على البحترى ظلال نعمائهم — تبدو له كأحلام سعيدة تمتع بها حينا ، ثم انقشعت عن حسرة فى نفسه وشجى . وإنه ليعبر عن شعوره بذلك أصدق التعبير حين يقول ضمن قصيدة بعث بها إلى أبى الصقر —

مضى جعفر والفتح بين مرسَّل وبين صبيغ بالدماء مضرَّج
أأطلب أنصاراً على الدهر بعدما
ثوى منهما فى الترب أوسى وخزرجى؟
أولئك ساداتى الذين برأيهم خلبت أفاويق الربيع المثجج
مضوا أمماً قصداً وخلفت بعدهم أخاطب بالتأمير والى (منبج)

وتوفى البحترى فى منبج ، بداء السكتة ، عام ٢٨٤ هـ . وكان قد أربى من عمره على الثمانين .

(قوص) محمود عزت عرفه

بأسماء مصطنعة مثل اسم « قنسطنطين قنسطنطيوس Constantin Conestantius أو إسم « جوهانس كليما كوس » Gohannes Climacus ... ولعل السبب فى ذلك أن الوجدان الجائش الذى كان يعمر نفسه والذى كان هو يريد أن ينقله إلى النـاس لم يكن من السهل أن يصل إلى عالم شاعت فيه الأفكار الهيجلية . فلذلك اضطر صاحبه إلى أن يصطنع أساليب التخفى التى تجنبه الخصومة والعداء . ومع ذلك فإن هذا الوجدان intuition لم يستطع أن يستحيل إلى تصورات عقلية تكون مذهباً ، فتمثل فى محاولات رمزية وصور مجازية متباينة .

وإذا نظرنا إلى بعض الصفحات التى كتبها كير كجورد عن « الظلمات الروحية » les ténébres spirituelles للنفس التى تبحث عن الله فإننا نجد فيها نبرة صادقة قوية تشهد بتجربة صوفية عميقة . والواقع أن المشكلة التى واجهت كير كجورد باعتبارها المشكلة الوحيدة الهامة إنما هى مشكلة الإيمان ، فقد بدا لكير كجورد أنه لا سبيل إلى إثبات حقيقة الإيمان إلا بإنكار عالم العقل والمنطق (وهو العالم الذى يعرف له كير كجورد قيمته ، وإن كان فى نظره متجسداً فى هيجل) . ومن ناحية أخرى فإن إيمان كير كجورد لم يكن مقترنا بمجموعة من المبادىء العامة أو الحقائق المطلقة (كما هو الحال عند أصحاب المذهب البروتستنتى الذين لا يرتبطون بكنيسة قوية تجمع بينهم فى وحدة قوية شاملة) ولذلك فقد كان بطبيعته إيماناً منطلقاً سهل التحول ، لا يتوفر فيه أى عنصر من عناصر اليقين أو الطمأنينة . ومثل هذا الإيمان لا يعسر أن يرتبط بالقلق والجزع والتمزق الداخلى déchirement intérieur فى نفس صاحبه ؛ بل إنه ليصبح حقيقياً بقدر ما يقترن به من هذه العوامل النفسية .

وهنا لعبت التجربة الروحية التى عناها كير كجورد دورها الأساسى الهام : فإن كير كجورد كان قد خطب فتاة أحبها وأحبته فاستقر رأيه على أن ينقض هذه الخطبة ، واعتبر تضحيته هذه من قبيل تضحية إبراهيم الخليل وظن أنه إذا كان لديه إيمان حقيقى كما كان لدى إبراهيم ، فإن المعجزة لا بد أيضاً أن تحدث ، وبالتالى فإن خطيبته لا بد أن تعود إليه كما عاد إسحق إلى أبيه . بيد أن خطيبته لم تعد إليه ، فأدت به هذه التجربة إلى اعتبار الإيمان سراً عميقاً لا سبيل إلى اكتناهه ؛ وانضافت إلى هذه التجربة نزعته اللاعقلية irrationalisme فذهب كير كجورد إلى القول بأن المؤمن (أو رجل الإيمان) يعيش بالضرورة فى شك مرير قاتل من جهة الإيمان نفسه : فأنت إذا اعتقدت أن لديك إيماناً فكأنك بذلك تجدف على الإيمان .

ولكن كير كجورد لا يدعنا فى هذه الحالة من التمزق الداخلى ، بل سرعان ما ينقذ الإنسان من السقوط الكامل ، فيثبت — فى لمحة سريعة باهرة — عالم المعجزة ، وعالم الحرية الإنسانية والصلة الفائقة للعقل بين الله والإنسان . ولكنه إثبات يعتمد على الذوق الصوفى واللمع الروحية ، مما لا سبيل إلى العثور عليه عند فيلسوف آخر غير كير كجورد الصوفى المتوحد !

« مصر الجديدة » زكريا ابراهيم

اعلان

تعلن وزارة الشؤون الاجتماعية فى مناقصة عامة عن توريد الأغذية اللازمة للجأ الهياتم لسنة ١٩٤٥ — ١٩٤٦ وقد حدد ظهر يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٤٥ آخر موعد لفتح مظاريف العطاءات .

ويمكن الحصول على شروط ومواصفات هذه المناقصة من قسم المشتريات بالوزارة مقابل دفع ٢٥٠ مليما وتقدم الطلبات على ورقة تمغة فئة ٣٠ مليما .

وترسل العطاءات باسم حضرة صاحب السعادة وكيل الوزارة داخل مظروف مغلق ومعها تأمين مؤقت قدره ٢٪ من قيمة العطاء .

٣٢٥١